بيان الفكر الذي يبني عليه المتطرفون ممارساتهم

لا بد من الإشارة أوّلا إلى أنه ينبغي أن نميز بين التديُّن الذي هو الالتزام بأحكام الدين والتطرف الذي هو غلو وتجاوز وبُعد عن معاني الشريعة السمحاء، وقد وضحت الصورة لكثير من الكُتّاب فانتهضوا للتحذير من مخاطر المتطرفين المتسترين بالدين إلا أن بعضًا من المؤلفين والكُتّاب قد أسرفوا كثيرًا في وضع المدلولات للتطرف ورموا به الكثيرين من محبي الالتزام بأحكام الشرع الحنيف فاتحين ثغرة يتسلل عبرها أدعياء التدين من المتطرفين حيث يتوجهون إلى العوام محبي الدين ويصورون لهم هؤلاء الكتّاب كأعداء للإسلام بينما يصورون أنفسهم مدافعين عنه مجاهدين لنشره محاربين لذلك، فيكسبون عطف العوام ومؤازرتهم ليتمكنوا رويدًا رويدًا فيما بعد من دس سمومهم في عقولهم وعقائدهم.

إن المتطرف إنسان يبحث عن الآراء والأفكار المتشددة البعيدة عن الصواب ويحاول إلزام الناس بها بالتمويه والتعمية والاستدراج مستغلاً الجهل وبعض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مع لفت الانتباه إلى أن العديد من التنظيمات المتطرفة انطلقت شرارتها الأولى من صفوف

الدراسة مستغلة كما ذكرنا «انفًا الواقع الاجتماعي وغيره، والفراغ الذي يعانيه الكثير من الشباب، وضعف التوعية السليمة، وعدم نشر المفاهيم المعتدلة التي تشكل حصنًا حقيقيًا في وجه المبادئ المتطرفة ومضامين الغلو ومظاهره.

إن التطرف بكل أشكاله يخفي وراءه الحقيقة التي تؤكد وجود خطر أسود وداهم ومدمر، إن جزء من خطر التطرف والمتطرفين يكمن في تسمياتهم، فهي تطلق على نفسها أسماء رنانة لا تعكس مضمونها المتطرف لتروج بضاعتها الفاسدة، وأفكارها المسمومة من خلال التستر باسم الإسلام.

كما أن المراقب لخط سير التطرف المتستر بالإسلام يجد أننا قد دخلنا مرحلة خطرة جدًا، لقد أصبح القتل عندهم عادة يقومون بها بكل سهولة ويسر وأعصاب باردة ونفس لا تعرف الرحمة. ولا بد في هذا السياق من أن نبين مفاسد هذا الفكر التحريضي ونعطي أمثلة عليه، فها هو سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرءان» (مجلد ٧/ص١٠٥٧) والذي يعتبره كثير من المتطرفين دستورًا لهم، يقول ما نصه: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بـ «لا إله إلا الله» فقد ارتدّت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا

إله إلا الله» اهـ، فهذا الفكر يكفّر المسلمين الذين لا يحكمون بالشريعة بما فيهم الحكام المسلمون والشعوب الإسلامية، وحملة هذا الفكر تراهم لا يدخلون بلدًا إلا عاثوا فيه الفساد، فتارة ينبشون القبور، وتارة يرتكبون الفجور، وتارة أخرى يزرعون المتفجرات، وكل ذلك باسم الإسلام والإسلام منهم براء.

إن عمل هؤلاء المتطرفين لا تقره الشريعة، ولسنا نغالي إن قلنا إن الصهيونية العالمية لها مأرب خطير فاسد المراد به التشويه المتعمد لحقيقة الإسلام، من هنا فإن تعاظم نمو الحركات المتطرفة المنسترة باسم الإسلام يأتي منسجمًا تمام الانسجام مع ما يخطط له أعداء الأمة من أجل ضربها وتشتيتها.

ويؤكد ذلك ما قرره سيد قطب في (الجزء الثالث/ ١٤٤٩) وما بعدها أن على المسلمين بالجماعة الإسلامية أو حزب الإخوان انتزاع زمام الحكم من الحكام والقضاء على نظمهم والثورة وإحداث الانقلابات في الدول.

سيد قطب في سطور

ولسنا نقع في التجني والشطط إذا قلنا إن سيد قطب زعيم حزب ما يسمى «الإخوان المسلمين» هو أبرز شخصية متطرفة ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين وتركت بصمات واضحة وءاثارًا جلية في مناهج مختلف الحركات المتطرفة في الوطن العربي، من خلال مجموعة من الأفكار والمؤلفات وعلى رأسها الكتاب المسمى «في ظلال القرءان» وهذا ما يفسر ترجمة هذا الكتاب إلى لغات متعددة، وانتشاره في الآفاق والأمصار، واعتباره الدستور الذي لا تحيد عنه هذه الحركات والذي تبني عليه تصوراتها الاستراتيجية، وعملياتها الإجرامية وخطواتها التكتيكية.

ولا بد من الإشارة إلى أمر هام جدًا ينبغي للباحثين والمهتمين بدراسة ظاهرة التطرف عدم إهماله، وهو أن هذه الحركات وإن اختلفت أسماؤها وتباينت وسائل عملها، وتعددت قياداتها تبقى مجتمعة تحت قواسم مشتركة فكرًا ومنهجًا ويجمعها عنوان عريض هو عنوان الولاء والتعصب الأعمى لمبادئ وأفكار سيد قطب. وليس بالمستغرب صدور منشورات وكتب وشرط كاسيت سواء في مصر والجزائر وتونس وحتى في لبنان وكل بقعة تدوسها أقدام

المتطرفين، لأن هذه الإصدارات إنما تعبّر عن حقيقة فكر هؤلاء المستقى من سيد قطب، على الرغم من محاولات البعض التستر والتكيّف مع واقع البلاد التي يعيشون فيها كما هو الحال مثلاً في لبنان.

والحديث عن سيد قطب وأفكاره السوداء وءارائه الشاذة حديث طويل يحتاج إلى معالجة دقيقة، وهو أيضًا حديث يسوء أنصاره وقد يدفعهم إلى الاعتداء الجسدي، لِمَا يمثل سيد قطب عندهم من مثال بطولي وحالة فريدة، ولاعتبارهم له القدوة الجهادية التي ينبغي الاحتذاء بها والسير على نهجها، ولكننا ومن خلال الرسالة التي نحملها ونسعى لتأديتها على ما يرضي الله ورسوله ﷺ نجد أنفسنا في موقع لا ينبغي إخلاؤه، فالخطر جسيم وهو على ما يبدو خطر سرطاني يشكل الوجه الثاني للمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام.

من هو سيد قطب؟

إلى كل متعصب لسيد قطب وأفكاره، إلى كل متحزب لجماعة سيد قطب ونهجهم الإفسادي إليكم من هو سيد قطب كما شهد هو بذلك على نفسه، ففي كتابه المسمى

«الإسلام مشكلة الحضارة» طبعة دار الشروق الطبعة السابعة ١٩٨٢ ـ (ص/٨٦) يقول سيد قطب: «كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة (جريلي) بولاية (كولورادو) فقد كنت عضوًا في ناديها، كما كنت عضوًا في عدة نوادٍ كنسية في كل جهة عشت فيها ما بين واشنطن في الشرق وكاليفورنيا في الغرب إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع تستحق الدراسة عن كثب، ومن الباطن لا من الظاهر وكنت معنيًا بدراسة المجتمع الأمريكي... وبعد أن انتهت الخدمة الدينية في الكنيسة، واشترك في التراتيل فتية وفتيات من الأعضاء. دلفنا من باب جانبي إلى ساحة الرقص الملاصقة لقاعة الصلاة، وكانت ساحة الرقص مضاءة بالأنوار الحمراء والأضواء الزرقاء، وقليل من المصابيح البيضاء، وحمي الرقص على أنغام «الجرامفون» وسالت الساحة بالأقدام والسيقان، والتفت الأذرع بالخصور والتقت الشفاه والصدور وكان الجو كله غرامًا» اهـ.

وقال سيد بشير أحمد كشميري في كتابه المسمى «عبقري الإسلام سيد قطب» «دار الفضيلة» ما نصه: «وإننا نرى أن سيد قطب حين وصل الثلاثينات بلغ حد التمرد في بعض كتاباته، حيث سخر من القيود الأخلاقية والاجتماعية

ودافع عن الإباحية، وصرّح أنه لو وكل إليه تكوين الكون من جديد لم يجعله «إلا حدائق ومنتزهات يجتمع فيها الأصدقاء والخلان والمحبوبون والحبيبات، للتناجي والسهر اللطيف، لا ضجيج ولا اضطراب. ويخفى على كثير من معارف سيد قطب وعشاقه وخاصة الإسلاميين منهم ـ أن سيد قطب مر بمراحل مثل هذه ـ أو يغمض بعضهم عينيه عنها» اهـ، نقلاً عن كتاب «سيد قطب ـ صورة نفسية ـ مجلة الأسبوع ٨ أغسطس ١٩٣٤م العدد ٣٧ ـ عدنان مسلم ـ ظهور داعية ص ١٥٤ - ١٥٦».

وقال محمد حافظ دياب في كتابه المسمى «سيد قطب ـ الخطاب والأيديولوجيا» دار الطليعة للطباعة والنشر/ بيروت (ص/ ٦٦):

«لم يكن سيد قطب مجرد تلميذ للعقاد، بل كان أقرب تلاميذه إليه وألصقهم به وأشدهم تشيعًا لأدبه وأفكاره واتجاهاته، حتى ان مجلة (الرسالة) ظلت بعد وفاة الرافعي تفتح صفحاتها للكتابة عنه، وكان قطب أشدهم تهجمًا عليه وإشادة بأستاذه العقاد. في هذه الفترة مر سيد قطب بمرحلة ارتياب في عقيدته الدينية وظل كذلك لسنوات وهو ما ذكره للندوي حين أخبره أنه بعد انتقاله إلى القاهرة واستقراره فيها انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت

ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية، ومر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية، وهو نفسه يعترف بهذا بعدها، بقوله: «إن هذه الرواسب كان تغبش تصوري وتطمسه... وتحرمني من الرؤية الواضحة الأصيلة» اهـ.

يعترف سيد قطب أكثر من مرة بمروره بمرحلة ارتياب في عقيدته الدينية، منها ما ذكره بقوله: فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها وعلى انحرافها وعلى ضالتها، وفزاقها وعلى جعجعتها وانتفاشها وعلى غرورها وادعائها كذلك. انظر سيد قطب «معالم في الطريق».

وليس أدل على ءاثار هذه المرحلة من مقال نشره في (الأهرام) بتاريخ ١٧ مايو ١٩٣٤ (ص/٧) دعا فيه دعوة صريحة إلى العري التام، وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، وهي بدعة كانت وقتها تنتشر في بعض بلاد أوروبا، كذلك تتضح نزعة ارتيابه في كثير من قصائده الشعرية التي كان ينظمها أيامها.

ومع نهاية عام ١٩٤٨ سافر إلى الولايات المتحدة في بعثة تدريبية حول التربية وأصول المناهج، وأول ما يلفت النظر في هذه البعثة أنها جاءت فجأة وشخصية، فلم يعلن عنها ليتقدم

لها من يرى نفسه كفؤًا خاصة وأن المبتعث تجاوز السن التي تشترط إدارة البعثات توفرها بكثير. وواضح أن ذهاب سيد قطب إلى الولايات المتحدة كان وليد تخطيط أمريكي خفي بعيد عن سيد قطب نفسه بداهة.

(الطاهر أحمد مكي) سيد قطب وثلاث رسائل لم تنشر من قبل في مجلة الهلال - أكتوبر ١٩٨٦ ص١٢٣ ـ ١٢٦).

وقد جاء في مجلة روز اليوسف (ص/ ٣٤) سنة ١٩٩٦ في ٢٩ تموز العدد/ ٣٥٥٥ تحت عنوان ما نصه: «سيد قطب من الإلحاد إلى القداسة والعكس».

ـ أحب فتاة من سبع بنات طرقن باب بيته... وبكى حين تزوجت.

ـ كتب عن الشفة الظامئة والعين الهاتفة والفخذ اللفاء والصدر الناهد.

ـ دعا إلى العري التام وأن يعيش الناس كما ولدتهم أمهاتهم.

ـ وصفه حسن الينا بأنه باحث عن الشهرة وجذب الأنظار... لا يجب إخراجه.

وفي نفس العدد (ص/ ٣٦) سيد قطب هو الذي قال هذا، وهو الذي وصف هذه السهرة بأنها «اللذيذة البريئة»، وقد كتب ذلك في عام ١٩٥١ أي في عز مجد الجماعة التي تسمى «بالإخوان المسلمين» المحظورة قانونًا الآن والتي صارت أفكاره دستورًا لها فيما بعد. وفي نفس المقال فقد كتب سيد قطب عن بداية الأمريكي في حياته الجنسية وقال: «الفتاة الأمريكية تعرف جيدًا موضع فتنتها الجسدية، في العين الهاتفة والشفة الظامئة والصدر الناهد والردف المليء والفخذ اللقاء والساق الملساء وهي تبدي هذا كله ولا تخفيه، والفتى الأمريكي يعرف جيدًا أن الصدر العريض والعضل المفتول هما الشفاعة التي لا ترد عنه كل فتاة» اهـ.